سيمياء الأدب الإسلامي

هذا عنوان أحدث كتاب ظهر للدكتور حسن الأمراني عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، وقد صدر بتعاون بين مجلة المشكاة ومؤسسة الندوي بالمغرب، ويبلغ عدد صفحاته مائة وثماني وسبعين صفحة من القطع الصغير.

يتألف هذا الكتاب من عتبة ومدخل وتمهيد وأربعة أقسام تمثل مراحل مفهوم الأدب الإسلامي وتطورها كما يراها د. حسن الأمراني، وهي: المرحلة الأولى: أدب فترة، والمرحلة الثانية: أدب طفرة، والمرحلة الثالثة: أدب فكرة، والمرحلة الرابعة: أدب فطرة. ثم ينهي الكتاب بتقديم سبع خلاصات. يمكن اعتبارها تلخيصاً لما ورد في الكتاب من مناقشات لقضايا مصطلح الأدب الإسلامي ودلالته.

د. سعد أبو الرضا - مصر

في «العتبة» حاول أن يوضح عنوان الكتاب؛ فهو لم يقصد بسيمياء الأدب الإسلامي، المنهج النقدي الحديث المعروف بالسيميائية، و إنما عنى بلفظة (سيمياء) الدلالة اللغوية، وهي تعني العلامة والسمة.

أما «المدخل»؛ فقد أوضح فيه أن «الإسلامية» تتضح في الأدب الموسوم بذلك، لأن الأدب صورة لصاحبه، وأننا قد نجد أدبا تتضح فيه الإسلامية، و إن لم يكن أصحابه ممن ينتسبون إلى رابطة الأدب الإسلامي، لأن الإسلامية متصلة بتكوينهم النفسي والعقدي، وربما كان لذلك صلة بعنوان هذا المدخل فالصب تفتضحه عيونه» لأن الأديب المسلم لا يملك إلا أن ينتج أدبا إسلاميا إذا أراد أن يكون أدبه منسجما مع عقيدته.

ويدرك القارئ إخلاص د. حسن الأمراني لهذه القضية،

حتى ليشعر المرء بتوقعه أن كل أدب خير يتجه هذه الوجهة الإسلامية، وأن ذلك دليل استقامة الأديب وأدبه، وهي رؤية وأمل نسأل الله تحققهما.

وفي «التمهيد»: أخذ الكاتب يتحدث عن «المصطلح والدلالة» فبين أن مصطلح الأدب الإسلامي مصطلح قديم، حديث؛ قديم باعتبار النشأة، وحديث باعتبار التداول والدلالة، كما بين أن هناك من يقبل مصطلحات: فنا إسلاميا، وتاريخا إسلاميا، وفلسفة إسلامية، لكنهم يترددون أو ينكرون أدبا إسلاميا، لأنهم لم يستوعبوا المستجدات في هذا المجال، وأن وراء ذلك دوافع أيديولوجية.

المرحلة الأولى: أدب فترة:

وهي كما سماها المؤلف، كإحدى مراحل تطور مصطلح الأدب الإسلامي ودلالته، وهو يقصد بذلك أن معيار الزمن هو أساس هذه التسمية، التي تعددت سنواتها، فهناك من يعد الأدب الإسلامي هو الأدب العربي الذي ارتبط بنزول الإسلام وتزامن مع هذا الحدث الخطير، وتأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ومن ثم فهو يقصد أدب فترة صدر الإسلام.

وهناك من يمتد بهذه التسمية لتشمل العصر الأموي أيضاً، وقد يمتد بها إلى العصر العباسي، بل هناك من يمتد بها إلى اليوم، حيث يتصل الاستعمال للمصطلح بالقديم والحديث، وما ينشأ عن ذلك من أدب متأثر بالإسلام عقيدة وفكرة وأسلوبا، وهو ما رآه ابن خلدون ثم مصطفى صادق الرافعي بعد ذلك، وقد أثنى الكاتب على هذا التصور ومن هنا جاءت التسمية «أدب فترة»، على أساس المعيار الزمني.

وقد كان للمستشرقين بروكلمان

ونيللينو وغيرهما أثر في تقسيم مراحل الأدب العربي إلى مراحله الست: الأدب الجاهلي، والأدب الإسلامي، والأدب الأموي، والأدب العباسي، ثم العصر المملوكي، ثم أدب عصر النهضة أو الأدب الحديث.

وهذا التقسيم يتصل به أن هناك شعوباً إسلامية أخرى غير العرب لهم آدابهم الإسلامية.

المرحلة الثانية: أدب طفرة:

يشير الكاتب في هذه المرحلة إلى ما أثبته المستشرق الإيطالي نيللينو من أثر الإسلام في شعراء عصر صدر الإسلام، وخاصة حسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو بذلك يخالف رأي كثيرين قدامى ومحدثين ممن نسبوا قلة أثر الإسلام في الشعر وضعفه في عصر صدر الإسلام إلى مجيء الإسلام نفسه، واهتمام الشعراء بالقرآن الكريم وحفظه خاصة حسان بن ثابت، ونيللينو بذلك يخالف أيضاً رأي الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) كذلك.

كما ناقش د. حسن الأمراني هنا رأي المستشرق كارل بروكلمان الذي رأى أن أثر الإسلام لم يظهر في الشعر إلا في العصر العباسي، وهو ما اعتبر ظهوره «طفرة»، وبناء على ذلك جعل الكاتب عنوان هذا القسم أدب «طفرة»، مسجلاً بذلك مرحلة أخرى من مراحل تطور الأدب الإسلامي مصطلحا ودلالة.

وقد احتفى د. حسن الأمراني بما رآه بروكلمان من حيث تعدد لغات الأدب الإسلامي، لأن ظهور أثر الإسلام في الشعر في العصر العباسي قد تجلى أيضاً في آداب لغات أخرى دخل أصحابها في الإسلام كالفرس مثلا، كما سجل التاريخ أسماء علماء أجلاء في علوم العربية والإسلام من أبناء هذه الشعوب التي دخلت في الإسلام، واعتنقه أبناؤها. من هنا فقد انتهى مؤلف الكتاب إلى أن العربية

هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي مع تعدد اللغات التي يكتب بها، ليس في الماضي والحاضر فحسب، بل في المستقبل أيضاً، بناء على أثر الإسلام الذي يمتد إلى ما شاء الله متجاوزا المكان والزمان المحددين، وهذا الرأي ليس بالجديد في هذا المجال.

المرحلة الثالثة: أدب فكرة:

ويشير الكاتب في هذه المرحلة، إلى أن حصر الأدب الإسلامي بأنه أدب فترة، حصر ضيّق واسعا، لأنه يقيد الإسلام نفسه بفترة زمنية محددة، وهذا عكس الواقع والحقيقة تماما. فالإسلام صالح لكل زمان ومكان إلى ما شاء الله، ثم إن هذا التحديد بفترة زمنية يحول دون استبعاد شعراء آخرين أقل تأثراً بالإسلام في الفترة نفسها، كصدر الإسلام مثلاً، ولذلك لابد من البحث عن سمة أخرى تحدد طبيعة الأدب الإسلامي غير العصر.

وهنا نجد د. حسن الأمراني في كتابه هذا يعتمد على عنصري الأدب الشكل والمضمون أو المبنى والمعنى، ليؤكد أنه يجب الاهتمام بهما معا، لكن لأن هناك نصوصاً أدبية قد يتجاوز أصحابها القيم الإسلامية المعتد بها، لذلك فقد رأى أنه يجب أن يكون المضمون الإسلامي ميسما يعتد به في هذا المجال، ولذلك فقد قارن بين روايتي «الأرض» لعبد الرحمن الشرقاوي وشيء من الخوف» لثروة أباظة - على سبيل المثال ليثبت انحراف المضمون في الأولى ووضوح الإسلامية في الثانية، وبرغم اهتمامه بالمضمون إلى هذا الحد لكنه لا يهمل الاهتمام بالشكل، لذلك فقد استشهد بآراء بعض دعاة الأدب الإسلامي ممن يهتمون بالشكل والمضمون معا.

المرحلة الرابعة: أدب فطرة:

و يقصد الكاتب بذلك أن الأدب الإسلامي ليس إلا الاستجابة الأدبية السليمة لنداء الفطرة السليمة) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم)، وبذلك فالأدب الإسلامي يرتبط بالوجود في شموله، ولم يُتوصَّل إلى ذلك المفهوم إلا بعد جهود واجتهادات كثير ممن اهتموا بمعالجة المصطلح وتحريره وتحديده.

ثم سرد المؤلف مقولات وقد حلت فيها لفظة قيم محل أفكار، ليصبح الأدب الإسلامي أدب قيم، ومن ثم فهو يشمل القيم الفكرية والمعنوية والشعورية والجمالية التي يتسم بها، وهو بذلك يلتقي في نظر الكاتب مع مفهوم ابن خلدون من أن الأدب «علم لا موضوع له»، لأن موضوعه هو الأدبية التي تلتقي في تراثنا مع «البيان» قبل أن تنقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة.

وإذا كان الأدب الإسلامي أدبا مسؤولا كما يرى د. حسن الأمراني - كصاحبه الذي يصدر عنه، فهو أدب موجه، وبذلك يقع بعض الالتقاء الجزئي بينه وبين بعض النظريات كالتفسير المادي للتاريخ، وذلك مما يتصل بواجبنا نحو بيان مظاهر الاختلاف والاتفاق بين الأدب الإسلامي وغيره دون انسلاخ عن الذات أو تضخيم لها [1].

وإذا كان الكاتب يرى أن «التوجيه» يعني الالتزام فإنه يفرق بين الالتزام الإسلامي والالتزام الشيوعي الذي كان إلزاما وليس التزاما.

هذا و قد استشهد الكاتب أيضاً بتصور الأستاذ محمد قطب في كتابه «منهج الفن الإسلامي» مبينا أنه قد يلتقي هذا الفن مع غيره من الفنون الأخرى عند غير المسلمين في بعض النواحي.

كما نبه د. حسن الأمراني على الفارق بين الأدب الإسلامي والأدب الديني، مبينا أن العلاقة بينهما هي علاقة العام بالخاص، بمعنى أن الأدب الديني هو كل أدب يجعل الدين أي دين موضوعا من موضوعاته ومحورا لا يعدوه، وبذلك فالأدب الإسلامي أدب عام يمكن أن يشمل ما يتعلق بالدين الإسلامي، لكنه يتجاوز ذلك إلى تناول كل موضوعات الحياة، في

حدود التصور الإسلامي.

وليس فيما سبق أي تعصب، لأنه بالإضافة إلى أن كبار الأدباء وأعلامهم قد انطلقوا من الدين، فإن دعوات التجديد عند الغربيين أنفسهم ارتكزت على الدين، برغم ما يقال عن الدين في المفهوم المسيحي، وأنه ذو طبيعة كنسية، ولا علاقة له بالحياة [٢] ومن هذه الدعوات التجديدية، الثورة الرومانسية في أعمال مدام دستال وشاتو بريان، وللأخير مثلا «عبقرية المسيحية»، وكذلك الناقد ت. إس. إليوت الذي يجعل الدين عند شعراء الغرب المعاصرين منطلقاً ومآلا، كما يجعل من المسيحية رؤية متفردة للعالم، ويجعل الحضارة الغربية غير قابلة للانسلاخ عن روحها وهى المسيحية، بل ينفي أن يكون لتفكيرهم أي معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي[٣].

وقد ضرب الكاتب مثلا بالأدب الديني في الأدب العربي ببعض أعمال يوسف الخال الشعرية، وغازي فؤاد براكس في ديوانه «أنا والله والعالم» الذي قدم الكاتب نموذجا منه على أنه قصيدة عربية البناء نصرانية الروح، دينية المنحى[٤]، ولم يعترض أحد على ذلك، كما أثنت عليها مجلة شعر، ويمكن أن نجد كثيرا من هذه الرؤى النصرانية في أشعار السياب وصلاح عبد الصبور والبياتي وحجازي، وهم جميعا مسلمون.

وقد استنتج الكاتب من ذلك هيمنة المعجم النصراني على كثير من الشعراء، مستدلا بذلك على وجود الشعر الديني، كما دعم وجهة نظره برأي الشيخ محمود شاكر وهو يعرض لمصطلحات «الخطيئة والخلاص والفداء والصلب» بدلالتها المسيحية، التي تتعارض مع التصور الإسلامي من وجهة نظر الشيخ شاكر،

د . حسن الأمراني

لكننا نجدها في أشعار بعض المسلمين.

من ثم يدعو د. حسن الأمراني إلى إعادة النظر في استخدام هذه المصطلحات، كما يدعو من يستخدمها إلى أن يتوجه بها وجهة حضارية تنسجم مع الفطرة.. «ومع الرؤية» الإسلامية[٥] مثلما فعل الشاعر محمد السرغيني في «الكائن السبئي»، لكننا نجد كثيرا من شعراء الحداثة يغالون في الانحراف بهذه المفردات عن منحاها القرآني، وهكذا انتهى الكاتب إلى أن الأدب الإسلامي أوسع من الأدب الديني، كما يؤكد على أن عالمية الأدب الإسلامي وإنسانيته وكونه أدب فطرة، هو الذي يجعله يلتقي مع عيون الأدب العالمي، أو هي التي تلتقي معه جزئياً أو كلياً [٦].

أما بالنسبة لموقف الأدب الإسلامي من هذه النصوص الأدبية، فقد أشار الكاتب إلى تعدد وجهات النظر، فهناك من يعتبر كل أدب يصدر عن الفطرة أدبا إسلاميا، وهناك من يسميه «الأدب الكادي» بناء على حديث رسول الله ﷺ بالنسبة لشعر أمية بن أبى الصلت في إحدى رواياته : (إن كاد ليسلم في شعره)، وهناك من يسمي هذا النص «الأدب الموافق «للأدب الإسلامي، بينما يرى الشيخ أبو الحسن الندوي أنه «أدب صالح».

من هنا فقد عرض د. حسن الأمراني لما أثير عن بعض النصوص الأدبية التي أشار إليها الأستاذ محمد قطب في كتابه «منهج الفن الإسلامي» لأدباء غير مسلمين كطاغور الهندوسي، وسينج الأيرلندي، وأنها نماذج قد تلتقي مع الأدب الإسلامي، لكن أحدا لم يزعم أنها من الأدب الإسلامي، لا الأستاذ محمد قطب ولا غيره، وإنما كان ما ادعاه المدعون نتيجة سوء فهم

كلام الأستاذ محمد قطب وهذا بيان مهم وتوجيه حسن من د. حسن الأمراني.

وكذلك أشار د. عماد الدين خليل إلى نماذج أخرى لغير المسلمين في كتابه «في النقد الإسلامي المعاصر»، وهي نماذج تلتقي مع الأدب الإسلامي في بعض النواحي، لكنها ليست من الأدب الإسلامي.

و أخيرا يختم الكاتب هذا القسم بتفنيد دعوة أن الأدب الإسلامي أدب أيديولوجي وأن عصر الأيديولوجيات قد ولى، مبينا أن الأيديولوجيات مذهب وحركات فكرية تتطور وتنقرض، ولا تبقى إلا بعض آثارها في بطون الكتب، كالوجودية وقبلها الرومانسية والكلاسيكية، لكن الأدب الإسلامي المرتبط بدين الله الباقي الذي تتشكل وفقه حياة المسلمين سلوكا وفكرا وأدبا لا يخضع لما تخضع له هذه المذاهب والحركات من تطور واضمحلال، وإن كان يتطور أيضا وله متغيراته، ولكن له ثوابته التي يستقيها من «دين الله الحنيف» كما أن ثوابته تتعلق بالمضمون والشكل [٧].

والكتاب بذلك يقدم لنا صورة طيبة مشرقة من مظاهر إخلاص د. حسن الأمراني، فهو من المؤسسين للدعوة إلى الأدب الإسلامي، لكن ما ألح عليه من تطور الأدب الإسلامي من كونه أدب فترة ثم أدب طفرة ثم أدب فكرة ثم أدب فطرة لم يتضح خلال عرضه، بل لقد أشار إلى تداخل بعض هذه المراحل كالمرحلتين الثانية والثالثة.

كما أنه في الوقت الذي ينفي فيه عن الأدب الإسلامي كونه لا يتطور ويزول كغيره من المذاهب، يعود ويثبت له التطور وعدم الزوال لارتباطه بثوابت الإسلام دين الله الخالد، وبرغم وجاهة هذه الفكرة لكنها بحاجة إلى أدلة أكثر تدعمها، ونقاش أكثر إقناعا لغير المسلمين.

والكتاب بالإضافة إلى ذلك حافل بكثير من النماذج الأدبية التي تدعم وجهة نظر الكاتب في اعتدال موقف الأدب الإسلامي بالنسبة لنصوصه الأدبية والنصوص الأدبية المخالفة، ولعل ما وعدنا به الكاتب من كون ذلك بداية سلسلة كتب، في هذا المجال، يكشف بجلاء واعتدال فيما يستقبل منها عن كثير مما يدعم نظرية الأدب الإسلامي، جزاه الله كل خير ■

الهوامش:

(١) سيمياء الأدب الإسلامي ص ١٠٥.
(٢) السابق نفسه ص ١١٦
(٣) السابق نفسه ص ١١٧
(٤) السابق نفسه ص ١١٨: ص ١٢٣
(٥) السابق نفسه ص ١٣١
(٦) السابق نفسه ص ١٣٤.
(٧) السابق نفسه ص ١٥٧

العين

علاء الدين أحمد الجلود - سورية

يا وردة الحب ماء الورد يسقيها ... وزهرة الحب لا تبكي مآقيها
إذا التقينا فروح البِشْر تجمعنا ... تلك الأماني فأغلاها تلاقيها
إذا افترقنا فإن الله يجمعنا ... على الوداد وتسقينا سواقيها
ذاك الوداد لأجل الله نحرسه ... يضفي عليه من الآمال باقيها
ذاك الوفاء لأجل الله نغرسه ... حمى حماه ليرقى في مراقيها
أما الصفاء فيصفو عند مكرمة ... ما خاب زارعها ما خاب ساقيها